

المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية

(الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي)

المحور التاسع

دور الاستثمار في اللغة العربية علي مستوى الثقافة

بحث بعنوان

" اللغة العربية ودورها في ثقافة وتنمية المجتمع "

كلية الآداب جامعة الزاوية

أ. منية سالم قشوط

الفهرس

| | | |
|----|-------|------------------------------------------------------|
| 2 | | مقدمة |
| 3 | | تعريف اللغة |
| 3 | | خصائص اللغة |
| 5 | | تعريف الثقافة |
| 5 | | تصنيفات الثقافة |
| 6 | | مصادر الثقافة |
| 7 | | اللغة العربية ناقل للثقافة والحضارة |
| 9 | | دور اللغة العربية في تنمية وتطور المجتمعات الإنسانية |
| 11 | | التوصيات |
| 13 | | المراجع |

مقدمة:

تؤدي اللغة دورا مهما في حياة الأمم وتاريخها، فهي مقوم أساسي من مقومات التقدم العلمي والأخذ بأسباب التكنولوجيا، وأنها أداة للتعبير عنه ووعاؤه وحاملة مضمونه وثمرته. فاللغة وسيلة التفاهم بين البشر يكتسبها الإنسان من المحيط الذي يعيش فيه، فهي لا تولد بولادة الإنسان ولا ترتبط بخصائصه البيولوجية أو العرقية، بل هي ظاهرة مكتسبة تخضع للشروط التي يعيشها المجتمع الإنساني وهي تتعدم وتتلاشي بانعدام ذلك المجتمع (عماد حاتم، 1982- ص9). ومن خصائص اللغة أنها قادرة على تمكين الفرد من الإبداع وحمل المعرفة وإنتاجها، مما يؤدي إلى بناء وتنمية المجتمع ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا.

حيث لعبت اللغة العربية والتراث الفكري دورا مهما في الحضارة الإنسانية منذ أقدم العصور، وهذا ما جعل اللغة العربية مثار اهتمام الدارسين والمتعلمين منذ عهود بعيدة (عماد حاتم، 1980- ص 21).

وقد قامت اللغة العربية بدور حمل المعرفة وإنتاجها وإشاعتها، وكانت علي مر العصور ومازالت اللغة الرسمية المهيأة في العديد من الدول، وهي مطالبة كباقي اللغات بتحسين وضعها في المجتمع لمواكبة المستجدات ومزاولة وظائفها باقتدار، ولا تفصل اللغة العربية عن السياسات اللغوية أو المبادرات والمواقف الايجابية، أو عن تطوير البحث العلمي عموما وخاصة البحث اللساني من خلال العلوم الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والتكنولوجية وغيرها، وتعتبر اللغة العربية مفاتيح لمغاليق المعرفة، فهي تجعل المرء متصلا ببيئته غير بعيد عن الحياة التي تحيط به، كما يكون بمقدوره أن يتابع ما تصل إليه العلوم والآداب من تطور وتجديد، وعن طريقها يكتسب الناس خبراتهم ومهاراتهم وتنمو معارفهم، ويرتبطون فيما بينهم بتراثهم وحضاراتهم ويتواصلون مع ركب الحضارة والتطور، وهي تمثل الجسر الذي بواسطته تعبر المجتمعات إلى الرقي والتقدم .

إن التنمية اللغوية تبدأ بتفعيل كلّ النصوص والقرارات الرامية إلى تمكين اللغة في الحياة العامّة والهادفة إلى القضاء على الفوضى اللغوية، والعمل على جعلها لغة فاعلة في جميع القطاعات، ومنفصلة مع كلّ التغيّرات، بغية تحقيق نموّ لغويّ تنبني عليه كل الأشكال التنمويّة الأخرى البشرية والاجتماعيّة والاقتصاديّة. وهو أمر يتطلّب سياسة لغويّة واضحة المعالم، وتخطيطا لغويّا متّزنا مبنياً على أساس تنمية وتطور المجتمع، وعلى أساس الثوابت الدينيّة والتاريخيّة والحضاريّة والوطنية والقوميّة، وذلك بتحويل التعدّد اللغويّ إلى تعدّد فاعل يحفظ للغة العربيّة مكانتها .

تعريف اللغة:-

اللغة أصلها لغوة علي وزن فعلة, فحذفت واوها وجمعت علي لغات ولغون, ومنها الفعل لغا تكلم, وقد جاء في الحديث الشريف: من قال لصاحبه والإمام يخطب يوم الجمعة: صه فقد لغا. واللغو: النطق . يقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها النطق (محمد السيد, 1980- ص11)

أشار أبو الفتح عثمان بن جني إلي تعريف اللغة في الاصطلاح بقوله:

- " اللغة أفاظ يعبر بها كل قوم عن إغراضهم " , وهو تعريف مختصر يجعل الصوت أهم أساس من أسس اللغة وعرفها علماء اللغة المحدثون موضحين في التعريف تركيبه أو أساسها ووظيفتها بقولهم
- " اللغة منظومة من العلامات والمعاني أساسها الصوت تعتمد في أداء وظيفتها علي رموز اعتبارية تستطيع بها مجموعة من البشر التفاهم والاتصال " (محمد الأسود, 1425- ص 9).
- وتعرف بأنها" نظام من الرموز المنطوقة المكتسبة تستخدمه جماعة معينة, من الناس بهدف الاتصال وتحقيق التعاون فيما بينهم " (محمد عبد العزيز , 1982- 50).
- إذا اللغة عامة هي أساس الانتماء الجماعي, وهي الرابطة التي تربط أبناء المجتمع فإذا هم وحدة منسجمة متألّفة.

- وتعرف اللغة العربية بأنها: لغة الضاد, ولسان امتنا العربية في أعماق التاريخ واللغة ليست مجرد تعبير عن الأفكار أو مجرد رموز في الأذهان, وان اللغة هي المتكلمون بها عقلا وفكرا, شعورا ووجدانا قيما ومبادئ, أصالة, تاريخ, أدبا واجتماعا, سياسية واقتصاد (عبد الله سويد, ص 9).
- واللغة العربية: هي اللغة التي نستخدمها الآن في الكتابة والقراءة, ومصادرها القرآن الكريم والحديث الشريف والمأثور من كلام العرب شعرا ونثرا, والآثار اللغوية المكتوبة التي وصلت إلينا من اللغة العربية لا يتجاوز عمرها المأتي سنة قبل ظهور الإسلام(محمد الأسود, 1425- ص115).

خصائص اللغة: (جاسم الحسون, 1996- 18)

يمكن أن تحدد الخصائص التالية للغة بصفة عامة بوصفها ظاهرة إنسانية مهمة كما يلي:-

- 1- اللغة صوتية: تشير هذه الخاصية إلي أن الطبيعة الصوتية للغة هي الأساس, بينما يجئ الشكل المكتوب لها في المرتبة التالية من حيث الوجود, ونعد الأصوات مادة اللغة الإنسانية , ولا مدلول لهذه الأصوات ما لم تنظم في وحدات أو كلمات.
- 2- اللغة نظام: تخضع كل لغة لنظام معين في ترتيب كلماتها, ويتم الالتزام بهذا الترتيب في تكوين الجمل, فليست اللغة في حقيقة أمرها إلا نظاما من الكلمات التي ارتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا تحتمه قوانين معينة لكل لغة.

3- اللغة إنسانية: وتعني هذه الخاصية أن اللغة ظاهرة إنسانية ينفرد بها الإنسان وحده دون غيره من المخلوقات, فهو الذي يستطيع أن يضع أفكاره في ألفاظ وعبارات مفهومة, تشكل همزة الوصل بينه وبين أفراد مجتمعه.

4- اللغة مكتسبة: لا تولد اللغة مع الإنسان, وإنما الذي يولد معه هو الاستعداد لتعلمها, فالطفل يولد بدون أية معرفة باللغة, لكن توجد لديه الملكة أو الاستعداد لاكتسابها بشكل متدرج وليس دفعة واحدة ومن هنا يأتي دور الوسط الاجتماعي الذي ينمو فيه الطفل ودور التربية المنظمة في عملية اكتساب اللغة.

5- اللغة عرفية: وتعني هذه الخاصية أن الصلة بين الرمز والشئ الذي يعنيه صلة عرفية اصطلاحية لأن أفراد المجتمع اللغوي تعارفوا علي الألفاظ وما تعنيه أو تدل عليه, فما أطلقوا عليه كلمة شجرة كان من الممكن أن يطلقوا عليه أية كلمة أخرى مكونة من أصوات أخرى, لذلك نجد أن اللفظ الذي يدل علي شئ واحد يختلف من لغة إلي أخرى.

6- اللغة متطورة: بما أن اللغة إنسانية مكتسبة, فهي إذن متغيرة متطورة مثلها في ذلك مثل العادات والعلوم والآداب وغيرها, ويمكن ملاحظة هذا التطور في أنظمة الأصوات والمفردات من جيل إلي آخر ومن مكان إلي مكان, ذلك أن الناس يطورون النماذج التي تؤدي حاجاتهم وتخدم أغراضهم بفعالية.

أما اللغة العربية فهي تتميز بمجموعة من الخصائص أهمها في الآتي:- (جاسم الحسون 1996- 35)

1- اشتقاق: ويقصد به في اللغة العربية توليد لبعض الألفاظ من بعض, والرجوع بها إلي أصل واحد يحدد مادتها.

2- الإعراب: يعد من أوضح خصائص اللغة العربية, لأن مراعاته في الكلام هي الفارق الوحيد بين المعاني المتكافئة في اللفظ, وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام, ولا لولاه ما ميز فاعل من مفعول, ولا مضاف من منعوت, ولا تعجب من استفهام, ولا نعت من تأكيد.

3- الترادف: الأصل في كل لغة أن يوضح فيها اللفظ لمعني واحد, ولكن لظروف تنشأ في اللغة تؤدي إلي تعدد الألفاظ لمعني واحد, أو تعدد المعاني للفظ واحد.

4- وفرة الأصوات: تعد اللغة العربية بمقياس علم الألسنة أو في اللغات جميعا من حيث وفرة الأصوات, وذلك بمقياس بسيط لا خلاق عليه, وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان, فيه تستخدم هذا الجهاز علي أتمه وأحسنه, فلا التباس في حرفين حروفها بين مخرجين, ولا في مخرج من مخرجها بين حرفين.

تعريف الثقافة:

في أصلها اللغوي ترجع إلي الفعل "ثقف" علي وزن كرم، وثقف علي وزن فرح. ولها في الحالتين دلالتان، إحداها حسية مادية وثانيتها معنوية. يقال علي المعني الأول " ثقف أو ثقّف الخل ثقافة، فهو ثقيف. أي اشتدت حموضته وصار حريفا لذاعا. ويقال علي الثاني: ثقّف أو ثقّف الرجل ثقافة، صار حاذقا فطنا، فهو ثقّف والمرأة ثقاف" (كمال بشر، 1995 - 69).

- تعرف الثقافة بأنها: ذلك الكم الذي يشمل المعارف والمعتقدات والفنون والقواعد الأخلاقية والقوانين والمهارات والقدرات التي يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه، وهي كل ما يتعلمه الفرد من عادات وتقاليد وقيم واتجاهات ومعتقدات دينية واجتماعية وأنشطة مركبة (سامي الختاتنة، 2011- ص 108)

- كما تعرف بأنها: كل ما صنعه يد الإنسان وعقله من أشياء ومظاهر في البيئة الاجتماعية، أي كل ما اخترعه الإنسان أو ما اكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية (عبد الله الرشدان، 2004 - ص 227)

- وهي: مجمل ما يقدم لعقل الإنسان ونفسه وحسه ليكون هذا المجمل المركب وسطا أو بيئة ذهنية أو نفسية وحسية لاستقبال ما يحدث في المجتمع، استقبالا فيه شئ من التواءم والانسجام (إبراهيم بدران، 1998- ص 252).

- ويعرفها كلاهون بأنها: جميع مخططات الحياة التي تكونت علي مدي التاريخ، بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة، وهي توجد في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة (معن عمر، 2006 - 178 ص)

فالثقافة هي إذا العادات والمعلومات والمهارات والدين، وهي ممتلكات الأمة حين الانخراط في عملية البناء الحضاري لإثبات الذات في مسيرة النماء الإنسانية المتسمة بسمة العلم النافع الخلاق والمعرفة النيرة، وتمثل انعكاسا حقيقيا للمجتمع أو انعكاسا لجوهر الحركة الاجتماعية التاريخية.

تصنيفات الثقافة: (حسين رشوان، 2006 - ص 75)

من العلماء من وضع المستويات الثقافية في ثلاث تجمعات وقد اخذ بهذا التقسيم " رالف لينتون" حيث قسم الثقافة في كتابه دراسة الإنسان إلي ثلاث أقسام هي:-

1- العموميات:

يقصد بعمومية عناصر الثقافة الصفة الجوهرية والعامّة والشائعة والخاصة بمجتمع معين، أي تلك التي يشترك فيها غالبية أفراد المجتمع وتشيع في مجتمع دون غيره من المجتمعات الأخرى وتبدو هذه العناصر الثقافية، وتبدو هذه العناصر الثقافية في وحدة المشاعر والعادات والتقاليد والقوانين والممارسات وكذلك الأنساق الحكومية الدينية والاقتصادية.

2- الخصوصيات:

هي الخصوصيات التي تحكم سلوك فريق معين من الكبار ومحدد بطبقات أو فئات أو مجموعات أو قطاع من القطاعات, وتؤدي إلي ظهور التمايز والتفاوت داخل نطاق المجتمع وهي تنقسم إلي خصوصيات مهنية وخصوصيات طبقية.

3- البديلات:

وهي العناصر الثقافية التي يمكن للفرد أن يختار منها, وهي تتضمن جميع طرق التفكير ووسائل العمل التي تجرب لأول مرة والخبرات والأفكار والتصرفات, وتدخل البديلات دائما مراحل الصراع الاجتماعي قبل لن يتقرر قبولها أو رفضها فإذا استساغها الناس فإنها تمتص وتدخل في العموميات أو الخصوصيات.

مصادر الثقافة وطرق اكتسابها: (عثمان فراج, 1996- ص171)

يستمد الفرد ثقافته من ثلاث مصادر هي:-

- 1- الأسرة: تعتبر الأسرة الوسيط الأول الذي يتولي تنقيف الفرد كما تمثل المجال الأول الذي يتعرض فيه لمختلف التأثيرات والعناصر الثقافية السائدة في مجتمعه.
 - 2- المدرسة بمراحلها المختلفة: وعناصر المجتمع المدرسي كالمعلمين والمرشدين و أصدقاء الصف, حيث تعتبر المدرسة مؤسسة اجتماعية تقوم بإعداد الفرد إعداد يمكنه من الحياة في المجتمع وان يصبح مواطن صالح قادر علي القيام بدوره فيه والإسهام في دفعه نحو التقدم.
 - 3- وسائل الاتصال المختلفة وتنقسم إلي الاتصال المطبوعة مثل: الكتب والمجلات, ووسائل الاتصال الحي كالمسرح, ووسائل الاتصال الالكترونية وهي اخطر و أوسع واشمل وسائل الاتصال لإمكاناتها الكبيرة في تجاوز حدود المكان والزمان, وقدرتها الهائلة علي الجذب والتشويق, مثل التلفزيون, والإذاعة, والسينما, والحاسوب, والكاسيت, والفيديو.
- فهذه المصادر تؤثر في الفرد وتساهم في تكوينه الثقافي ومن خلالها تستطيع الثقافة أن تحقق أدوارها وأهدافها وخططها وبرامجها وسياساتها العامة والخاصة, ودورها بالتنسيق والتفاعل والتكامل في تكوين ثقافة الإنسان.

اللغة العربية ناقل للثقافة والحضارة:

قد لوحظت العلاقة بين الثقافة واللغة في فترة تعود إلى الفترة الكلاسيكية، وربما قبل ذلك بوقت طويل، فالإغريق القدامى على سبيل المثال، يميزون بين الشعوب المتحضرة و"بارباروس" أولئك الذين يميلون إلى التثنية"، أي أولئك الذين يتكلمون لغات غير مفهومة (بيبلر بول، 2003-ص91)

فإنظرا لأن هناك مجموعات تتحدث لغات مختلفة، وغير مفهومة فقد يعتبر ذلك دليلا ملموسا على الاختلافات الثقافية أكثر من كونه من السمات الثقافية الأخرى الأقل وضوحا. ولغتنا العربية عريقة موهلة منذ القدم: نشأت في بيدها الحجاز وعلي ربا نجد، وتصلت قواعدنا وتثبتت أركانها علي مر التاريخ، وخطت خطواتها في التطور والرقى والازدهار، حتى وصلت إلينا علي هذا السمة من الفصاحة والبيان، والقوة والافتقار (عبد الله سويد، ص 13) حيث سيطرت لهجة قريش علي بقية اللهجات العربية بفضل الهيبة الدينية والاجتماعية والمركز الاقتصادي الذي كانت تعيشه قريش من بين غيرها من القبائل العرب، وبها نزل القرآن الكريم فزاد من قوتها وسلطانها وساعد علي تعلمها وانتشارها وعلي الحفاظ علي العربية، وقد أدت الفتوحات الإسلامية إلي احتكاك العرب بغيرهم من الشعوب وتأثرهم بلغات جديدة واقتباسهم عنها فدخلت العربية مفردات من الآرامية والقبطية والفارسية والتركية، كما أن اعتناق الشعوب المختلفة للدين الإسلامي أدي إلي انتشار اللغة العربية في مناطق مختلفة كباكستان وأفغانستان وتركستان والهند وجزء من الصين.

وقد مرت الحضارة العربية الإسلامية بمراحل ثلاث قبل أن تتضح وتبدع وتسهم في بناء حضارة الإنسان أولها مرحلة الترجمة والاقتباس والتمثل التي دامت طوال العصر العباسي الأول وتلتها مرحلة الإبداع والخلق أما المرحلة الثالثة فكانت حقبة العالمية حين أخذ الغرب ينقل إلي لغاته العلوم التي حصلها العرب والتي أبدعها (فؤاد سيزكين، 1997 ص48).

ففي العصر الأموي بدأت حركة ترجمة فردية محددة على يد الأمير خالد بن يزيد الذي دعا بعض علماء مدرسة الإسكندرية إلي دمشق لكي ينقلوا له بعض كتب الإغريق في الطب والفلك والكيمياء ويقول ابن خلكان: كان خالد عالما بالطب والكيمياء وكتب في هذين العلمين وتعلم الصنعة من الراهب اليوناني (مريانوس) (محمد البغدادي، 1885-680).

كان مرض المنصور واستدعاء الأطباء من جنديسابور على رأسهم جرجس بن جبرائيل الشرارة التي أضاعت مشعل عصر نقل العلوم اليونانية والهندية والفارسية والسريانية والقبطية إلي اللغة العربية، فقد أمر المنصور طيبة بترجمة بعض الكتب الإغريقية في الطب والفلك والتنجيم ثم مشى حفيده الخليفة هارون الرشيد على خطاه فوسع العمل وأكثر من الترجمة وجلب الكتب

الإغريقية إلى بغداد شراء واستنساخا وغنائم حرب وفدية أسرى شملت كتباً في الطب والهندسة والرياضيات والفلك والتنجيم.

ففي هذا العهد كان من أشهر المترجمة ابن المقفع الذي يقتزن اسمه بترجمة كتاب كليلة ودمنة. ويذكر ابن النديم بأن الفرس ترجموا إلى لغتهم في غابر الزمان كتباً بالمنطق والطب نقلها ابن المقفع إلى العربية، ويؤكد ذلك وجود عدد كبير من الكلمات الطبية الفارسية التي بقيت مستعملة في الكتب العربية إما كما هي أو بعد تعديل بسيط. كما ترجم محمد بن إبراهيم الفارابي كتاب السند والهند في الفلك وقد اختصره فيما بعد الخوزامي ويذكر ابن القفطي أن العرب نقلوا عن الهند كتباً في الموسيقى والحساب (علي القفطي، ص 175).

هذا وترجمت من اليونانية والسريانية كتب أرسطو في المنطق وكتاب المجسطي في الفلك، ومن أبرز المترجمين في هذه الفترة يوحنا بن البطريق وقسطا بن لوقا ويوحنا ابن ماسويه وقد ألف هؤلاء النقلة كتباً كثيرة في الطب والفلك والفلسفة والرياضيات إضافة إلى ما ترجموه وشرحوه، وبدأ الناس بالإفادة من الكتب المترجمة وتداولوها، على رأسهم المعتزلة، إذ اتصلت بالكتب الجديدة وتعرفت على أرسطو وتأثرت أبحاثهم بالمنطق (احمد أمين، 1952- ص 277).

كما اتجه أهل الأندلس الذين اعتنقوا الإسلام خاصة إلى تعلم العربية وإلى إقبالهم على تعلم العلوم الإسلامية، واتسع بمرور الزمن عدد الداخلين في الإسلام وأخذ طلاب العلم يرتحلون بشكل خاص إلى الجامعات العربية في الأندلس والاختلاط بالسكان مما ساعد على انتشار اللغة العربية، ونتج عن ذلك ظهور لغة عربية عامية دخلتها بعض الكلمات الأسبانية (خير الله طلفاح، 1977- ص 150).

ولمع فحول الشعراء والأدباء العرب في الأندلس كابن عبد ربه وابن حزم وابن زيدون وابن خفاجة وكانت النتيجة من ازدهار الحياة الأدبية أن انتشرت اللغة العربية والثقافة العربية والعادات والتقاليد العربية الإسلامية في أوروبا وقد زحرت الألفاظ العربية في اللغة الأسبانية والقونية والفرنسية (احمد العبادي، ص 373).

إذا فقد قامت الثقافة العربية الإسلامية بدورها الطبيعي خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية، وقد نقل العلماء العرب والمسلمون التراث الإغريقي وغيره من ألوان التراث العلمي الذي تقدّم عليهم في التاريخ، نقلوه إلى اللغة العربية، التي كانت لغة علم وثقافة، وأثر العلماء العرب والمسلمون في النهضة الأوروبية، وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية غالباً وواضحاً ومؤثراً في عديد من المجالات العلمية والفكرية والثقافية، مثل ابتكار نظام الترقيم والصفير والنظام العشري، ونظرية التطور قبل "داروين" بمئات السنين، والدورة الدموية الصغرى قبل "هارفي" بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل "نيوتن" بقرون متطاولة، وقياس سرعة الضوء

وتقدير زوايا الانعكاس والانكسار، وتقدير محيط الأرض، وتحديد أبعاد الأجرام السماوية، وابتكار الآلات الفلكية واكتشاف أعالي البحار، ووضع أسس علم الكيمياء.

ويمكن القول إجمالاً إن الثقافة العربية الإسلامية كانت واسطة العقد بين العلوم والثقافات القديمة وبين النهضة الأوروبية؛ فالفكر العربي الإسلامي، والثقافة العربية الإسلامية، سلسلة متصلة الحلقات، امتدت من الحضارات القديمة من مصرية وأشورية وبابلية وصينية، إلى حضارة الإغريق والإسكندرية، إلى العصر الإسلامي الذي تأثر علمائه بمن تقدمهم، وأثروا بدورهم فيهم لحقهم من علماء النهضة الأوروبية الذين قرؤوا أعمال العلماء العرب في كتبهم المترجمة إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية.

لقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في العالم الغربي، ونهل علماء أوروبا من المصادر العربية الأصلية، ووجدوا أنها تراثٌ علميٌّ عظيمٌ، فاشتغلوا بدراسته وتحليله. ولقد كان العرب والمسلمون يمثلون العلم الحديث بكل معنى الكلمة، كانوا رواداً في المناهج العلمية الحديثة، وقد اكتسب المثقفون والعلماء في أوروبا من الثقافة العربية الإسلامية، أكثر من مجرد المعلومات، إنهم اكتسبوا العقلية العلمية ذاتها بكل طابعها التجريبي والاستقرائي، بحيث وجد الأوروبيون في التراث العربي الإسلامي وفي الثقافة العربية الإسلامية ضالّتهم المنشودة، فعكفوا على نشره.

دور اللغة العربية في تنمية وتطور المجتمعات الإنسانية:

تلعب اللغة دوراً حيوياً في كل مجتمع من مجتمعات العالم كونها وسيلة التعبير والتواصل بين أبناء المجتمع ورمز للهوية الفردية والمجتمعية وأداة لحفظ الحضارة والتراث وإيصال العلم والمعرفة للأجيال الطالعة، وتتخذ اللغة في مجتمعات الدول النامية أبعاداً أخرى سياسية ونفسية ووطنية وعاطفية إذ أنها كثيراً ما تتحول إلى رمز للاستقلال والتحرر من المستعمر وركيزة أساسية من ركائز الهوية الوطنية المنبعثة من جديد، كما هي الحال مع اللغة العربية التي اتضحت رمزاً لوحدة بلاد العرب من المحيط إلى الخليج.

ولا تزال اللغة العنصر الرئيس في إعطاء الصفة الاجتماعية للمتحدثين بها، والوقفة التي يقتضي وقوفها اليوم حول دور اللغة العربية في حياة العرب يتخطى الحاضر في حركة غير متعكسة نظرياً على الأقل. ووجهة هذه الحركة هي باتجاه الماضي أولاً والمستقبل ثانياً مروراً بالحاضر ثالثاً.

من أسباب التنمية، يتحدث الأستاذ حسن مسكين عن اللغة باعتبارها كياناً وأساس وجود أي أمة، من خلالها تتحدد هوية وثقافة واستمرارية آمال الشعوب. وأزمة سوء فهم المسألة اللغوية في الوطن العربي مردها أسباب متعددة منها: عدم إمام الكثيرين لدينا بالجوانب العديدة لإشكالية

اللغة، وقصور العتاد المعرفي لمعظم منظرينا اللغويين، وغيرها من الأسباب التي خلقت هذه الأزمة، فالتاريخ يشهد بأن اللغة العربية كانت مستهدفة بشكل كبير، إضافة إلى أنها تعيش لامبالاة المسؤولين في الحكومات العربية الذين يصرون على مخاطبة شعوبهم بلغات أجنبية، وظهر صيحات متأججة لدعاة اللهجات والتضحية بالرصيد اللغوي والمعرفي والحضاري الطويل للغة العربية باعتبارها مجرد واسطة أو وعاء لنقل الأفكار لا غير (حسن مسكين، 2007-272).

إنّ ما يطبع الوضع اللغويّ في الوقت الرّاهن لا يعدو أن يكون هدنة لغويّة، وهي ليست بالأمن اللغويّ المنشود المبنيّ على سياسات لغويّة متوازنة، تستثمر التعدّد اللغويّ لأجل الفعل الثقافيّ، وتستثمر اللغة في البعد التنمويّ؛ تنمية الإنسان العربيّ بلغته ودينه وثقافته وعلمه وحضارته ومجتمعه.

ويؤكد محمد الكتاني علي الدور المركزي للغة في تكوين هوية المجتمع فيعدها بمثابة الدم داخل الجسم الحي، فهي تحمل كل خصائص ذلك المجتمع العضوي البناء إلي كل فرد من أفرادها، فاللغة هي أساس التواصل التلقائي، وهي بمثابة شبكة التواصل، وقنوات النقل للتراث والمعرفة الواردة إلي الذات أو الناقلة من الذات إلي الآخر (محمد الكتاني، 1997-81).

واللغة العربية تربط العربي بأشقائه في المجتمعات الأخرى وتشعره بامتداد شخصيته إلي تلك المجتمعات وسعة تراثه، وغناء التجربة الفريدة التي ينتمي إليها فتضيف إلي هويته بعدا آخر يتمثل في البعد القومي.

إن اللغة العربية هي الترسنة الفكرية والثقافية التي تبني الأمة وتحمي كيانها وتحافظ علي شخصيتها، وهي الدعامة الرئيسية لبناء الأمة وقيامها لأنها تمثل وسيلة التواصل والاتصال والصياغة لكل الأفكار، وللغة دور فاعل في بناء الأمة وصناعة وجانها وبناء ذاكرتها وتكوين هويتها وثقافتها وضمأن تماسكها وتواصل أجيالها وتوسيع دائرة تفاهمها وتفاعلها والإسهام في تشكيل نمط تفكيرها وسلوكياتها وتحريكها وتغيير واقعها (محمد، 2007).

لقد قيض الله - عز وجل وعلا - للعربية جمهرة منهجية كبيرة من الباحثين العرب وغير العرب، فدرسوها دراسة علمية منهجية وتناولوا تاريخها، وأصواتها، ونظامها، ونحوها، وصرفها، وتحرير معاجمها إلي غير ذلك من الدراسات وانتهوا إلي حملة من النتائج هي في صالح العربية من حيث غناها وخصوبتها ودقة نظامها وقدرتها علي مواكبة الجديد (وليد خالص، 2007-ص14) ويقول "هيتي" إنني اشهد من خبرتي الذاتية، انه ليس ثمة من بين اللغات التي اعرفها وهي تسه لغات، لغة تكاد تقترب من العربية سواء في طاقتها البيانية، أو في قدرتها علي أن تخترق

مستويات الفهم والإدراك، وان تنفذ بشكل مباشر إلي المشاعر والأحاسيس، تاركة أعمق الأثر فيها وفي هذا الصدد ليس للعربية أن تقارن إلا بالموسيقى (علي مذكور، 1997- 51).

إن القدرة الفاعلة للغة العربية تتأتى من عناء تكونها وتسئمتها هذه المكانة الرفيعة، ليس في نفوس أبنائها الذين صنعوها عبر تاريخهم الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي وحسب، بل في نفوس غيرهم من الشعوب، سواء أنطقوا بها أم لم ينطقوا، لأنّ البحث العلميّ الدقيق يظهر فريدة هذه اللغة وتأثيرها في مجتمعات كثيرة، كشف عن بعضها، وبقي البعض الآخر ينتظر الجهود لكشفه..

ولقد زاد من تركّز العربية في الذهن والنفوس، ومن إقبال الناس عليها ارتباطها بالقيمة الاجتماعية للإنسان وهي المتأنتية من العلاقة الوثيقة بالقرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، فمن تعلّمهما حسنت مكانته، ومن "أحب الله أحبّ رسوله المصطفى (ص)، ومن أحب النبيّ العربيّ أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربية عني بها وثابر عليها.

وهذا من شأنه أن يجعل قوّة الوجود والقدرة على التعبير عن التواصل والاتصال والإبداع والخلق وإيجاد التفاهم ورسالة البناء، هي نفسها قوّة المجتمع وقدرته على التواصل والتطور والبقاء والوجود الفاعل.

إنّ العربية هي التي طبعت شخصية العرب فيما قبل الإسلام بطوابع خاصة، بقيت فيهم، تظهر في التعبير عن أنفسهم والالتصاق ببيئتهم وكتابة إبداعهم وإقامة الحضارات العديدة.. وهذا ما يفسّر أهمية الكلمة لديهم، فلقد اشتهروا بها، وكان شعرهم الديوان الرئيس الذي برعوا فيه، ولذلك كان التفوق في الكلام وصناعته وقوله يساوي تفوق الأفراد وريادتهم.

التوصيات:-

بعض التوصيات التي تراها الباحثة في الحفاظ على اللغة العربية كاللغة لها قيمتها الوطنية والعالمية في ثقافة وتنمية المجتمع:-

1- إن العربية تطالب أبناءها بالأمن في مختلف اتجاهاته، لاسيّما الأمن اللغوي، حماية اللغة ومعرفة قيمتها والوعي بما يجري.

2- إعادة النظر في موضوع توطين الثقافة واللغة ومواجهة فكرة اللا توطين والتهجين والتهجير اللغوي.

4- إنّ فورية إجراء عمليات الاتصال، تستدعي استجابة فورية لتطويع اللغة كي تماشي هذه الفورية: بإيجاد مصطلحاتها وتعريبها والنظر في مضامينها وصوغها بدقة.

- 5- التنبّه إلى قضية الإعلام والاتصال ومخاطرها وتأثيرهما في العقول والنفوس وتوجيههما لخدمة أغراض تضرّ بالمجتمع العربي ولغته.
- 7- الوعي بأهميّة اللغة العربيّة بشكل خاص، وفهم أنّ انهيار اللغة هو انهيار للأمة، بقاؤها بقاء للوجود والهويّة والخصوصيّة والأديان، والإنسان العربي أولاً وأخيراً.
- 8- أخذ التحدّيات الراهنة على محمل الجدّ في جميع المجالات: كالإعلام والتربية والاقتصاد والإدارة والإينماء والمصطلحات والتعريب والاعتماد على العربيّة في ذلك كلّه.
- 9- تبنّي فكرة مجتمع المعرفة وتعريبه والإقبال على التحديث في وجوهه كافّة وتوطين العربيّة فيه.
- 10- ضرورة تبيّن مكانة العربيّة في سوق اللغات العالميّة، والمراهنة على تغييبها.

المراجع:

- 1- احمد أمين, ضحي الإسلام, الجزء الأول, مطبعة لجنة التأليف والترقية, القاهرة, 1952.
- 2- احمد بدران, الثقافة العربية وعصر المعلومات, المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, 1998.
- 3- احمد مختار العبادي, في التاريخ العباسي والأندلسي, دار النهضة العربية, بيروت.
- 4- الوزير جمال الدين أبي الحسن, علي بن القاضي الأشراف يوسف القفطي, أخبار ضم العلماء بأخبار الحكماء, دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت
- 4- بييلر بول, العبيد البيض الأسياد السود, جوليات الأكاديمية الأميركية للعلوم السياسية والاجتماعية, 2003.
- 5- جاسم محمد الحسون, حسن جعفر الخليفة, طرق تعلم اللغة العربية في التعليم العام, منشورات جامعة عمر المختار, البيضاء, 1996.
- 6- حسن مسكين, أزمة النخب العربية الثقافة والتنمية, دار القرويين, الدار البيضاء, 2007.
- 7- حسين عبد الحميد رشوان, دور المتغيرات الاجتماعية في التنمية الحضرية, مؤسسة شباب الجامعة, الإسكندرية, 2004.
- 8- خير الله طلفاح, حضارة العرب في الأندلس, دار الحرية, بغداد, 1977.
- 9- سامي الختاتة, فاطمة عبد الرحيم النوايسة, علم النفس الاجتماعي, دار حامد للنشر والتوزيع, عمان, 2011.
- 10- عبد الله سويد, وآخرون, اللغة العربية لطلبة الجامعات والمعاهد العليا, دار الكتب الوطنية, الزاوية.
- 11- عثمان فراج, الثقافة وعملية التنشئة الاجتماعية في الوطن العربي, المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, تونس, 1996.
- 12- علي احمد مذكور, تدريس اللغة العربية, دار الفكر العربي, القاهرة, 1997.
- 13- عبد الله رشدان, علم اجتماع التربية, دار الشروق للنشر والتوزيع, عنان, 2004.
- 14- عماد حاتم, اللغة العربية قواعد ونصوص, دار الكتاب والتوزيع والإعلان, طرابلس, 1982.
- 15- ———, في فقه اللغة وتاريخ الكتابة, المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان, طرابلس, 1982.
- 16- فؤاد سيزكين, مكانة العرب في تاريخ العلوم, أبحاث الندوة العلمية لتاريخ العلوم عند العرب, معهد العربي, جامعة حلب, 1977.

- 17- كمال محمد بشر, خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة, دار غريب للطباعة والنشر, القاهرة, 1995.
- 18- محمد بن إسحاق البغدادي, تحقيق ناهد عباس عثمان, دار قطري بن الفجاءة, 1985.
- 19- محمد حسين عبد العزيز, مدخل إلى اللغة العربية, دار الوفاء للطباعة, القاهرة, 1982.
- 20- محمد خليفة الأسود, التمهيد في علم اللغة, منشورات جامعة السابع من ابريل سابقا, الزاوية, 1425.
- 21- محمود احمد السيد, الموجز في تدريس اللغة العربية, دار الفورة, بيروت, 1980.
- 22- محمد الكتاني, أي منظور لمستقبل الهوية في مواجهة تحديات العولمة, بحث مقدم إلى الدورة الأولى لأكاديمية المملكة المغربية " العولمة والهوية", الرباط, 1997.
- 23- معن خليل العمر, التغير الاجتماعي, دار الشروق للنشر والتوزيع, عمان, 2004.
- 24- وليد محمود خالص, اللغة العربية والعولمة, بحث مقدم إلى مؤتمر " مجتمع المعرفة", كلية الآداب الاجتماعية, جامعة السلطان قابوس, مسقط, 2007.